القرن الثاني عشر

1 – ولـــي الله الـــدهلري

2 – نـــادر خـــان شـــاه

3 – محمد بن عبـد الوهـاب

4 – الزبيـــــــــــــدي

هذا القــرن

يبدأ هذا القرن (الثاني عشر الهجـري) مـن سـنة 1689 وينتهـى في سـنة 1785 في التقويم الميلادي ، وقد تمت فيه أحداث كثيرة ، وتحولات كبرى ، إلى جانب اختراعات جديدة تخدم البشرية في سعيها المستمر نحو التقدم والتطور ، وعمل الإنسانية الفطـري على جعل الحياة أكثر احتمالا وقبولا ، وذلك بما تأتي به القرائح من أفكار تمـس جوانـب الحياة اليومية . وكما سنرى أن هذه الاختراعات التـى ظهـرت في هـذا القـرن الهجـري (الثاني عشر) لم تكن عربية أو إسلامية ، وإنما كانت كلها من نصيب الـدول الأوروبيـة التى بدأت منذ القرون السابقة في التقدم العلمى ، والذي تم للأسف ، بفضل ما وصل إليه العرب المسلمون من تقدم ونظريات كما رأينا في القـرون المتقدمـة ، ومـا نـتج عـن ذلك من حضارة عربية إسلامية متماسكة ونبيلة . أما في هذا القرن الثاني عشر الهجـري فإن العالم العربي والعالم الإسلامى كانا يغطان في سبات عميق يفصله عما يحـدث حولـه من أحداث، وهو مـا سـنراه في الـسطور التاليـة، فنبـدأ بـالأحوال الـسياسية في العـالم الإسلامى ، ونتبعه بالأحوال العلمية والاجتماعية والدينية ، وذلك وفـق المـنهج الـذي اعتمدناه في النظر على أحوال العالم الإسلامي نظرة شاملة وسريعة .

بالنظر إلى الحالة السياسية للعالم الإسلامى في القرن الثـاني عـشر : نجـدها كـما كانت – تقريبا– في القرن الماضى ، حيث يضم ثلاث دول كبرى تـضم كـل واحـدة منها مجموعة من الكيانات السياسية ، هى الدولة العثمانيـة في تركيـا ومـا يجاورهـا ، والدولة الصفوية في فارس وما يجاورها ، والدولة المغولية في الهند وما يجاورها ، هذا إلى جانب دول العالم العربي وفي مقدمتها مصر والجزيرة العربية ، والمغرب والجزائـر وتونس وليبيا ... وغيرها .

فالدولة العثمانية التركية أصابها الوهن والضعف بسبب الصراعات والانقسامات من ناحية ، وتألب أوروبا عليها من ناحية أخرى ، إلى درجة أنها استولت على بعض أملاكها . وكما يذكر المؤرخون أن السبب المباشر في ذلك هو ضعف سلاطين بني عثمان ، وازدياد نفوذ الإنكشارية الذين وصل الأمر بهم ، أنهم كانوا يولون المسئولين بالدولة ويعزلونهم ، في الوقت الذي يتسمون به - أي هؤلاء الإنكشارية- بالجهل والغباء والغطرسة، وفوق ذلك كله اللامبالاة؛ حيث لا يهمهم أمر إصلاح الوطن ؛ لأنه ببساطة غير أوطانهم حيث هم غرباء . وغاية ما كانوا يفعلونه في شأن الإصلاح السياسي هو الجمود والوقوف محلك سر ، ويوحي الواحد المسئول منهم أن الخروج على القديم إلحاد وكفر !! وزادت الحالة السياسية تفاقما بنشوب الحرب بين الدولة العثمانية ودول روسيا والنمسا وبولونيا ، لتنتهي هذه الحروب بمعاهدة يقتطع بمقتضاها أجزاء من الدولة التركية ، ولتزيد أطماع أوروبا فيها بعد ذلك، ليبدأ ما يسمى بالاستعمار السياسي لأجزاء من الدولة العثمانية التركية .

والدولة الثانية هي الصفوية في فارس التي ضعفت شوكتها شيئا فشيئا إلى درجة أن فلولا من الأفغان يقودهم أحد أمرائها استولوا على أغلب بلادها ، وبقوا فيها إلى أن قضى عليهم «نادر خان شاه» والذي نادى بنفسه ملكا على مملكة تمتد من فارس إلى بلاد الهند ، ويدخل ضمن نفوذها بعض الأقاليم التي منها بخارى وأفغانستان . وقد استعان في ذلك بالإنجليز ليمدوه بالأسلحة الحديثة ، إلى جانب اعتداله وتسامحه ، الأمر الذي استقرت في عهده الدولة الفارسية ، ليتغير حالها بعد وفاته .

والدولة الثالثة المغولية بالهند ، لا يقل حالها من الاضطرابات والفتن عن سابقتيها إن لم يزد ، حيث طمع فيها الهندوس يريدون حكم الهند ، وكان بالطبع للشركة الهندية الإنجليزية يد في هذه الاضطرابات والفتن بين المسلمين والهندوس ،

وهنا استنجد المسلمون بالملك نادر شاه ملك فارس ، الذي أوقف هذه الاضطرابات والفتن خصوصا بعد استيلائه على «دهلي» . ولكنه - لاعتداله - أبقى ملكها المسلم الهندي محمد شاه مكتفيا بمساندته من بعيد . لكن هذا الملك محمد شاه ومن جاءوا بعده من الملوك كانوا من الضعف والوهن ، مما جعل الشركة الشرقية الإنجليزية الهندية تسيطر على الحكم بعد انقسامها إلى ولايات . لينتهى حكم الملوك المغول لتظل السيطرة والحكم للشركة الشرقية الإنجليزية الهندية حتى تنتقل إلى بريطانيا نفسها وبداية استعمار الهند عام 1866 .

وأما دول المغرب فقد ساء حالها في ظل حكم السعديين لمراكش ، حتى ولو كانت الجزائر وتونس وطرابلس تابعة للدولة العثمانية . فقد عم الفساد ، وسادت الفوضى دول المغرب العربي . والأمر نفسه كان في بقية الدول العربية الإسلامية في المشرق .

وإذا ما انتقلنا إلى الحالة العلمية في العالم الإسلامي في هذا القرن نجدها ازدادت فسادا واضمحلالا وجمودا إلى درجة أن إنشاء مطبعة جسد أزمة كبيرة في إستانبول حيث اعتبرت هذا العمل رجسا من عمل الشيطان . وهنا طلب السلطان العثماني التركي من شيخ الإسلام أن يصدر فتوى ينفي فيها ذلك ، ففعل ولكن على أن لا يطبع فيها القرآن الكريم أو الحديث أو التفسير أو الفقه أو علم الكلام على اعتبار أنها كتب دينية لا يصح ولا يجوز أن تطبع في هذه الآلات النجسة ، والتي هي رجس من عمل الشيطان . ولم تكن حالة مصر العلمية بأفضل من حالة تركيا ، حيث كان علماء الأزهر لا يقلون جمودا أو تنطعا عن غيرهم في إستانبول . ولهذا يمكن القول - اتفاقا مع المؤرخين - بأن العلم في هذا القرن كان ضعيفا ، وهان على الناس العلماء ، على الرغم من أنه كان من بينهم علماء أجلاء خاصة في الأزهر وعلى رأسهم الشيخ «عبد الله الشرقاوي» .

وإذا كان العلم على هذا النحو من الوهن والضعف، فبديهي أن تنشط الوسائل المتخلفة التي يرفضها العلم بمعناه الحقيقي ، وأهمها الطرق الصوفية المتخلفة . خاصة المدعين فيها فيعلو شأن شاربي الخمور الذين تتهافت على مجالسهم النساء . والعجيب أن العلماء ينقلون عنهم الأخبار، والملوك والولاة يطلبون منهم الشفاعة!! وقد وصل الأمر أن أحد مدعي الصوفية كان يمشي في الشوارع عاريا مكشوف الرأس والسوأتين ، كما يقول الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ، فيعتقد أهل مصر فيه الولاية ، حتى إذا تستر بلباس ولزم البيت اعتبر قطبا ، يقبل عليه الرجال والنساء للتبرك به . ومشهد آخر لازال شاهده أو قبره موجودا في إحدى قرى الصعيد، وبالتحديد بمحافظة المنيا شرقي النيل وتسمى : «قرية الشيخ تمي» حيث اتفق اثنان من الساخرين على دفن حمار وأقاموا له قبرا وشاهدا باسم الشيخ هند ، وقالا بأنه من الأولياء الصالحين . فأقبل الناس على زيارته والتبرك به والقسم باسمه . إلى أن اختلف الشريكان في شأن المال الذي يأتي من النذور لهذا الولي المزعوم ، فأقسم أحدهما باسمه ، فذكره الآخر بأن قسمه لا يجوز ، وذكره قائلا : إنه حمار دفناه معا ، ولا يعرف سره إلا كلانا !

وتزداد هذه الحالة تفاقما إلى درجة أن يصل الأمر بالمسلمين في هذا القرن أن يعتقدوا في عنزة ادعى أحد خدمة وحراس المشهد النفيسي بمصر أن السيدة نفيسة رضي الله عنها أوصت بها خيرا كما ادعى صاحبها !! وهنا نسب الناس إلى هذه العنزة الكرامات وكانت النساء أكثر من الرجال اعتقادا فيها ، فكن يرسلن إليها القلائد والأطواق والحلي الذهبية ، والمأكولات والحلويات الفاخرة والهدايا الثمينة طلبا في رضاها والتبرك بها .. إلى أن أمر الأمير «عبد الرحمن كتخدا» بذبحها وإطعام صاحبها من لحمها من غير أن يخبره حتى يعرف تأثير أكل لحم هذه العنزة المقدسة ولما سأله أجاب : لا شيء ، لحم عادي ليس له مذاق مختلف عن غيره . وهنا أمر

الأمير بوضع جلدها على عمامته ، وأمر أصحاب الطبول بالسير به في شوارع القاهرة للتشهير به ، منعا للناس عما يفعلونه .

هذه الصور بالطبع لها علاقة بالحالة الاجتماعية التي ساءت إلى درجة كبيرة ، وعم الجهل والفقر والمرض ، دون علاج .

وكذا الحالة الدينية حيث ازداد نفوذ رجال الصوفية ، خاصة الجهلة والمدعين منهم كما قلنا من قبل . فعم الجمود ، وسادت الأساليب اللاعقلية ، وانتشرت الشعوذة وغيرها من الأساليب المتخلفة .

يحدث هذا في العالم الإسلامي في وقت تتقدم فيه أوروبا علميا واجتماعيا وسياسيا وفكريا وثقافيا . لتبدأ في اختراعاتها التي حولت العصر فيها إلى عصر التصنيع والاختراع .. وما استتبعه من تقدم تقني وتطور مذهل .

ولي الله الدهلري

ولي الله أحمد شاه الدهلري : من مجددي القرن الثاني عشر الهجري ، حيث ولد عام 1114 وتوفي 1180 هجرية حسبما يقول مؤرخوه ودوائر المعارف والموسوعات الإسلامية ، تلك التى ترصد مؤلفاته الكثيرة ، ومنها : (الإنصاف في بيان أسباب الخلاف) و(رسائل الدهلري) و(شرح تراجم أبواب صحيح البخاري) و(عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد) و(فتح الخبير بما لابد من حفظه في علم التفسير)، إلى جانب رسالته (الاجتهاد والتقليد) و(فتح الخبير بما لابد من حفظه في علم التفسير)، إلى جانب رسالته المهمة وعنوانها : (التفهيمات الإلهية) تلك التى دافع فيها دفاعا مجيدا عن ابن تيمية قائلا : «والذي أعتقده ، وأحب أن يعتقده جميع المسلمين وخاصة علماء الإسلام من حملة الكتاب والسنة والفقه ، الذائدين عن عقيدة أهل السنة والحديث ، أنهم عدول بتعديل النبى - ﷺ - ، حيث قال بحمل هذا العلم من كل خلف عدوله- وإن كان قد تكلم فيهم بما لا يرتضيه هذا المعتقد ، إذ كان قولهم ذلك غير مردود عليهم بنص الكتاب والسنة والإجماع ، وكان قولهم ذلك محتملا ، وكان مجالا ومساغا للخوض فيه ، سواء كان قولهم ذلك في أصول الدين أو في الأبحاث الفقهية أو في الحقائق العاطفية أو الوجدانية . وعلى هذا الأصل اعتقدنا في شيخ الإسلام ابن تيمية.. رحمه الله تعالى ، فإنا قد تحققنا من حالة أنه عالم بكتاب الله، وأستاذ في النحو واللغة ، ومحرر لمذهب الحنابلة : فروعه وأصوله ، حاد الذكاء ، ذو لسان وبلاغة في الدفاع عن أهل السنة ، ولم يعرف عنه فسق ولا بدعة ..

فمثل هذا الشيخ نادر الوجود في العالم ، وقد يطبق أن يلحق شأوه في تحريره وتقريره ، والذين ضيقوا عليه ، ما بلغوا معشار ما آتاه الله تعالى ، وإن كان تضييقه ذلك ناشئا من اجتهاد ومناقشة بين العلماء ..» .

ويعلق الأستاذ عبد المتعال الصعيدى على هذا النص للدهلرى قائلا : «وبهذا يكون ولى الله الدهلرى من أتباع مدرسة ابن تيمية ؛ لأن قوله فيه لم يؤثر أو يعرف عنه فسق ولا بدعة ، اللهم إلا هذه الأمور التى ضيق عليه لأجلها - يشعر بأنه لم يكن متشيعا له فيها كل التشيع ، وإن ذكر أنه ليس شيء مما أخذ عليه إلا ومعه دليله من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ..».

وعلى أن كتابه (القول الجميل فى بيان سواء السبيل) يقصد منه بيان أصول طرق الصوفية الأربعة وهى : النقشبندية والمحددية والجشتية والجيلانية ؛ حيث عنى هذا الكتاب ببيان أصولها ، وذكر فى دفاعه السابق عن ابن تيمية ، ما سماه بالحقائق العاطفية أو الوجدانية ، وهى الحقائق التى يدركها المتصوفة بذوقهم ، وكل هذا لا تؤمن به مدرسة ابن تيمية . وهنا .. فإن جمع الدهلرى بينهما هو كالجمع بين النقيضين ، ولعل إيمانه بتلك الطرق الصوفية يجعل بعض العلماء وفى مقدمتهم الأستاذ الصعيدى يرى أن ذلك يبعده كثيرا عن أن يكون من مجددى القرن الثانى عشر الهجرى مخالفا بذلك غيره من جمهرة العلماء المؤرخين ، وعلى الرغم من ذلك يعتبره من المجددين فى كتابه .

إن اتباع الدهلرى لمدرسة ابن تيمية لا يذكر له فى هذا القرن . لأن هذا التقليد أو الاتباع لهذه المدرسة قد تحول إلى جمود أشد من جمود الجمهور الذين تخرج عليهم.. بل لعله ينظر فى الكتاب والسنة نظرة جديدة تلائم العصر الحديث ، ويتفق مع تحرر العقول من جمود العصر القديم ويكون فيه من اللين والتسامح ما يرفع عن المسلمين إصرهم وأغلالهم ، ويفتح لهم أبواب النهضة والتقدم .

وهكذا .. ما كان لولى الله الدهلرى أن يجهل ما وصل إليه العلم فى العصر الحديث ، وقد كان من أبناء الهند الذين رأوا ما جره الجمود على أهله من التأخر ، وما أوقعهم فيه من الخلاف الذى أطمع فيهم رجال الشركة الإنجليزية ، وجعل هذه الشركة الاستعمارية تلعب بعقولهم وتستولى على بلادهم وتنتصر بأساليب العلم الحديث على جمودهم وتخلفهم .. كل هذا وعلماؤهم غافلون عن هذا الخطر الجديد ، لاهون في قضايا الخلاف بين ابن تيمية وغيره .

* * *

نادر خـان شـاه

نادر خان شاه : من مجددي القرن الثاني عشر الهجري ، حيث ولـد عـام 1099 هجرية في وقت كانت خراسان وهي بلاده تعج بالفوضى ، وذلك بـسبب القـائمين على أمرها من ناحية ، وهجوم من الخارج للتتار من ناحية أخرى ، فأخذ يقاوم هـذه الأحوال المتردية في بلاده وقتئذ ، وتبع ذلك تغير كان يطرأ عليه فإذا ما حقـق نـصرا قابله من ناحية أخرى هزيمة ، وإذا ما دبت القوة لديه تحولت إلى ضعف ، فحينا يتم أسره ، وحينا يعمل في خدمة سلطان البلاد ، بل في بعض الأحيان كان يكون جماعـة من أشد الرجال ومشاغبيهم ، سببت الخوف للناس وهو أمـر ذاع صـيته ، واشـتهر أمره ، حتى خافه الناس ، فعلم بأمره سلطان خراسان فدعاه ليستعين به في مقاومتـه هجوم فلول التتر . ولم يدم هذا الحال من الود بينـه وبـين الـسلطان ؛ إذ سرعـان مـا اختلفا وتم استبعاده وعزله ، فعاد إلى ما كان عليه ، ولكنه كان أكثر قوة وخـبرة ، إلى درجة أن الحكومة بدأت تخشاه وتحسب له ألف حـساب ، خاصـة بعـد أن ضـعفت شوكتها وتمت سيطرة الأفغان عليها إلى درجة أن ابن الـسلطان وكـان يـدعى « تهـما سب ميرزا» سعى إليه أي : إلى نادر شـاه ، ليـساعده عـلى اسـترداد ملـك أبيـه مـن الأفغان، فانضم إليه نادر خان شاه وأصبح من أكبر قادته ومعاونيـه في هـذا العمـل الذي بمقتضاه تستمر الدولة الصفوية في إيران ويكون آخر ملوكها «تهما سب ميرزا» بفضل معاونة نادر شاه .

من ناحية أخرى .. كانت الدولة العثمانية في تركيا ترنو بنظرهـا للـسيطرة عـلى إيران بعد ما دب الوهن والضعف في الدولة الصفوية . وهنا اتفقت مع روسـيا عـلى

أمر يتم بمتقضاه تقسيم إيران بعد انتهاء الدولة الصفوية وسيطرة الأفغان عليها فأخذ جيشا من كلتا الدولتين : الدولة العثمانية والأخرى الروسية ، في التقدم للاستيلاء على ما تم الاتفاق عليه بينهما .

وفي محاولة لاسترداد ملكه ونفوذه في إيران سعى «تهما سب ميرزا» إلى كل من الدولتين واتفق معهما على الاستيلاء على ما يريدان من إيران في مقابل أن يردا إليه بقية البلاد ، وقد وافقت على ذلك روسيا ، ورفضت الدولة العثمانية . وكان نادر شاه وراء هذه الاتفاقات بين الأطراف الثلاثة .

وهنا عقد «تهما سب ميرزا» معاهدة مع روسيا بمقتضاها أن تترك له الدولة العثمانية الولايات الشمالية الإيرانية بعد تحريرها من الأفغان . فلما رأت الدولة العثمانية نجاح هذا السلطان بمعاونة نادر شاه في اتفاقه مع الروس ، رأت أن ترضى بما عرضه عليها من قبل ، وتركت له قليلا من بلاد إيران التي حررتها من الأفغان ليتم للسلطان «تهما سب ميرزا» – بمعاونة نادر شاه – استرداد السيطرة على أجزاء كثيرة من إيران ، والأكثر من ذلك فقد أرسل هذا السلطان معاونه وحليفه على استرداد ملكه : نادر شاه إلى بلاد خراسان فأخضعها ، واسترد أصفهان التي كانت تحت سيطرة خراسان .. وبذلك جلس «تهما سب ميرزا» على عرش آبائه بمعاونة نادر شاه الذي أصبح الحاكم الفعلي لإيران مكافأة له على معاونته الإيجابية وازدادت سيطرته ونفوذه ؛ أي نادر شاه – بعد أن هزم الدولة العثمانية التركية التي عادت للهجوم على بلاد إيران مع أكبر هزيمة .

لكن أثناء الحرب مع الدولة العثمانية والانتصار عليها شن الأفغان هجوما على إيران ، فسار إليهم نادر شاه وهزمهم . في هذه الأثناء زين مستشارو السوء للسلطان «تهما سب ميرزا» أن يعاود الهجوم على الدولة العثمانية دون نادر شاه ففعل ذلك غير مدرك للعواقب ، خاصة وأن معاونه وقائد جيوشه نادر شاه كان مشغولا في حربه

مع الأفغان ، فأشار إليه مستشارو السوء وأعوانه أن يتخلص منه ؛ أي: من نادر شاه ويعين بدلا منه ابنه الطفل «عباس ميرزا» على أن يكون السلطان وصيا عليه . ناكرا بذلك كل ما فعله نادر شاه من أجله من معاونة لاسترداد ملك أجداده . وهو ما لم ينسه أو ينكره الإيرانيون الذين انتهزوا فرصة وفاة الطفل «عباس ميرزا» ليقيموا نادر شاه ملكا عليهم بعد أن حررهم من حكم الأفغانيين والأتراك والروس . فقبل منهم ذلك بشرط أن يتركوا التعصب ضد أهل السنة ، ولا يبالغوا في التمسك بالمذهب الشيعي الذي كانوا عليه في عصر الدولة الصفوية السابقة . فقبل منهم البعض هذا الشرط ، ولم يقبله البعض الآخر حيث ظلوا على مغالاتهم في الانتساب للشيعة .

وكان أول ما فعله نادر شاه بعد أن استقام له الأمر وأصبح ملكا على إيران هو الدعوة إلى الوحدة بين الإيرانيين سنة وشيعة ، الأمر الذي يدعو إليه الإسلام ، وأنه لا فضل لشيعي على سني إلا بالتقوى والعمل الصالح على اعتبار أن الذين ينتمون للسنة وللشيعة هم في نهاية الأمر مسلمون . وأن الخلاف بينهم يمزق وحدة هؤلاء المسلمين .

إلا أن الأمر الذي يحسب لهذا المجدد نادر شاه إلى جانب محاولاته المبكرة للتقريب بين السنة والشيعة يتجسد في مسلكه أسلوب العلوم الحديثة في إدارة الدولة وتطورها ، وفي ذلك استعان ببعض علوم وتجارب الدولة الأجنبية عملا بأمر دينه الذي يدعو صراحة إلى أخذ العلم حتى لو كان في آخر الدنيا ، وأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها هو أحق الناس بها . فاستعان بالإنجليز في الحصول على الأسلحة الحديثة ، وأقام ببلاده معامل لصنعها ؛ حتى يصبح له جيش قوي على النظم الحديثة ، فتح به قندهار الأفغانية ، وسار به إلى الهند فاستولى عليها بلدا تلو آخر ، وانتصر على بلاد بخارى وعقد معها اتفاقية كالتي عقدها مع بلاد الهند ،

وتقدم إلى بلاد خوارزم وفتحها .. وهكذا تم لنادر خان شاه ما لم يتم لواحد من ملوك وسلاطين الدولة الصفوية في إيران .

ومع كل هذه الانتصارات لم يستطع أن يقنع أهل الشيعة بعدم المغالاة في تشيعهم ، وكان ذلك سببا في اختلافه مع أئمة المذهب الشيعي ، فثارت عليه أشياع وأتباع من هذا المذهب ، وتآمروا عليه وقتلوه عام 1160 هجرية .

وعلى هذا .. فإن الجانب التجديدي في تفكير نادر شاه يراه الأستاذ عبد المتعال الصعيدي وغيره من المؤرخين في سعيه الجاد في نشر العلوم والمعارف الحديثة بين الإيرانيين ، وتدريب جيشه على النظم الحديثة ، والأهم من ذلك هو دأبه في التقريب بين أهل السنة وأهل الشيعة . وغير ذلك مما يجعله أقرب إلى فهم رسالة التجديد الإسلامي في القرن الثاني عشر ، وأن يكون في طليعة المتفقهين فيه ، خاصة في مسألة التقريب بين السنة والشيعة ومحاولاته في ذلك ، الأمر الذي يحفظه له التاريخ الإسلامي .

* * *

محمد بن عبد الوهاب

نحن على موعد مع أحد مجددي القرن الثاني عشر للهجرة ، مجدد أحدثت أفكاره ودعاويه – ولا تزال– دويا هائلا يمتد إلى أيامنا هذه . هذا المجدد هو : محمد ابن عبد الوهاب بن سليمان بن على . ولعلنا نسترشد في حديثنا عن هذا المجدد بما كتبه الأستاذ « عبد الله بن سعد الرويشد » وغيره من المؤرخين ، فنسجل بأن محمد ابن عبد الوهاب، من سلالة عربية خالصة ، يمتد نسبها إلى تميم ، ثم إلى نزار بن معد ابن عدنان ، وهو إمام الدعوة السلفية الحديثة ، والمجدد للعقيدة الإسلامية التي كان يراها هى السليمة .

ولد في بلدة (العيينة) بنجد ، قريبا من الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية (1115هـ: 1703م) ، في بيت توارث بنوه العلم والتقى كابرا عن كابر؛ فقد كان أبوه عبد الوهاب عالم بلدته وقاضيها ، وكذلك كان جده سليمان من قبله ؛ ولهذا نشأ الابن نشأة صالحة ، ثم أخذ يتلقى عن أبيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه، وعلوم اللغة من نحو وصرف وغيرهما ، وأكثر من القراءة والاطلاع على الكتب المتداولة بين الناس في ذلك العهد ، وكان ذكيا ألمعيا ، ينفذ بذهنه وعقله إلى ما وراء النصوص المدونة ، ويميز بين الحق منها والبهرج ، فلم يجد فيما قرأ ما يعادل كتب ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية ، فأعجب بها ومال إليها ، ورأى كثيرا مما نعاه ابن تيمية على أهل عصره من البدع والضلالات ، والمروق عن الدين ومظاهر الشرك ماثلا أمام عينيه ، في معتقدات قومه وأعمالهم ، لاسيما العامة منهم . فهو إذا من الذين تأثروا بمدرسة ابن تيمية ، وتخرجوا فيها على الرغم من طول العهد بينهما، حيث مضت بينهما خمسة قرون . ولقد كان لآراء ابن تيمية وابن القيم أكبر الأثر في توجيه ابن عبد الوهاب ، والتأثير على حياته .

وتطلع محمد بن عبد الوهاب إلى أفق أرحب ، فذهب إلى مكة المكرمة حاجا لله تعالى ، وملتمسا فيها من العلماء ، ما يشفي غلته ، ويروي ظمأه ، ويظهر أنه لم يظفر بما كان يتمناه ، فرحل إلى المدينة المنورة ، والتقى هناك بالشيخ «عبد الله بن إبراهيم ابن سيف» ، وهو عالم من أهالي نجد ، أقام بالمدينة ، فأخذ ابن عبد الوهاب عنه ، كما أخذ عن عالم مقيم آخر هو الشيخ «محمد بن حياة السندي» .

ولم تكن هذه النفس الطلعة لتقنع بما يعتقد الناس أن فيه كفاية وعناء ، بل لابد لها من أن تنشد الكمال ، وتسعى إليه ، وتستهين الصعاب ، وتركب الأهوال ، وتعتصم بالصبر ، وتطلب الحقيقة في مظانها الأول ، لعلها تظفر بشيء منها ، وهكذا كان شأن الشيخ ، فلم يجد بدا من الرحلة إلى بعض العواصم الإسلامية ، التي اشتهرت بكثرة العلماء ، وتوارثت البحث في مسائل الدين وعقائده ، فرحل إلى العراق ، ونزل ببلدة الزبير من أعمال البصرة ، وأخذ عن أحد فقهائها الشيخ «محمد المجموعي» ، ولكنه لم يقنع بالسماع والحفظ ، بل ما برح يناقش ويحاول ويفحص ويوازن بين ما يلقى إليه ، وما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ، فيجد فيما يقوله العلماء ميلا وانحرافا ، وخروجا على نصوص الدين وتعاليمه ، وساءه ما عليه الناس من خرافات وأباطيل ، فجاهر بآرائه هذه ، فأنكر ونقد كثيرا من بدع الناس وضلالاتهم ، وفساد عقائدهم ، فثار به فريق من جهال البصرة وآذوه ، وخرج منها في وقت الهجير خائفا يترقب ، بلا زاد ولا راحلة ، وما كان الله ليترك مجاهدا في سبيل دينه ، فقيض له رجلا اسمه «أبو حميدان» من أهل الزبير وهي بلدة عراقية أكثر سكانها نجديون فأعانه ، وحمله على دابته حتى بلغ به هذه البلدة ، وفكر ابن عبد الوهاب بعد ذلك في مواصلة الرحلة إلى بلاد الشام ، لعله يجد فيها خيرا مما لقي بالعراق ، ولكن الله أراد أن يريحه من سفر قد لا يحصل منه على فائدة تذكر ، ففقد ما كان معه من مال ، وقفل راجعا إلى بلاد نجد ، ونزل بالأحساء ، وأقام مدة لدى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي من رجال الدين والعلم

بها ، وكان والد الإمام قد انتقل من العيينة إلى حريملاء بعد نزاع نشب بينه وبين حاكم قريته «محمد بن حمد بن معمر» أدى إلى عزله عن قضائها ، فرحل الإمام إلى أبيه ، وأقام معه في بلدته الجديدة .

أكب ابن عبد ا لوهاب، وهو طالب ، على كتب السنة ، ومسانيد الأئمة ، وعنى بصحيحي الإمامين : البخاري ومسلم ، وبسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، ومسند الشافعي وأحمد ، وموطأ مالك ، وبكتب شيخ الإسلام أحمد تقي الدين ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، كما درس علوم السيرة واللغة والفقه الحنبلي ، وألم بثقافة عصره في جميع علوم الدين والعربية ، حتى صار مصدرا علميا واسعا في مختلف المعارف الإسلامية والعلوم الشرعية .

وبدأ ابن عبد الوهاب دعوته من حريملاء ولم تلق هناك نجاحا يذكر ، ولكنه لم ييأس ولم يقنط، وظل يدرس ويرشد ويقضي حتى مات والده عام 1153هـ - 1740م، وهنا أعلن دعوته . وجد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فتبعه بعض أهلها فأيدوه ، ولكنه كان بحريملاء قبيلة يتبعها جماعة من الجهال يعيثون في الأرض فسادا، ويجاهرون بالفسق والمعاصي ، فهتف الشيخ بهم ونادى بوجوب ردعهم ، وتنفيذ حكم الشرع فيهم ، فأضمروا له البغضاء ، وحاولوا الفتك به فحماه الله منهم وردهم على أعقابهم ، وهكذا لم يطب له المقام بحريملاء بعد هذا الحادث ، فانتقل إلى مسقط رأسه العيينة، وتلقاه أميرها «عثمان بن محمد بن معمر» بالترحيب، وعاونه في دعوته ، وتوثقت بينهما أواصر الثقة والمحبة ، خصوصا بعد أن أصهر الشيخ إلى أسرته ، وقد تبعه كثير من الأهالي ، ثم شرع في تنفيذ مبادئه عمليا ، فاستأجر أناسا ليقوموا بقطع الأشجار التي يعظمها العامة، ثم خرج بنفسه إلى أكبرها فقطعها، ولابد للشيخ أن يمضي في طريقه، بلا وجل ولا تردد، فاتجه بنفسه إلى قبر (زيد بن الخطاب) رضي الله عنه بقرية الجبيلة وأعد العدة لهدمه ، واستعان بالأمير عثمان لحمايته ، فاستجاب له ، ولكنه أبى أن يتولى الهدم هو أو أحد رجاله ، فتقدم الشيخ وهدمه

بنفسه حتى أتى عليه ، ومضى في سياسته العملية فأقام حد الزنا ، ونفذ أحكام الشريعة ومن ثم اشتهر أمره ، وعظمت هيبته ، وأقبل كثير من الناس على مبايعته، مؤيدين للدعوة السلفية ومعاهدين .

وبينما كانت الدعوة تشق طريقها إلى القلوب الصلدة فتصدعها ، وإلى العقول الضالة فتردعها ، فتروي عطشها ، وتجلو صدأ الجهالة الذي ران عليها ، نرى «محمد ابن عريعر الحميدي» حاكم الأحساء والقطيف ، ينذر الأمير عثمان بن معمر بالثورة عليه ، وقطع الخراج عنه إن لم يقتل الشيخ ، ويقضي على دعوته ، ويتخاذل عثمان ويأمر الشيخ بالخروج من بلده ، فغادر الشيخ العيينة متوجها إلى الدرعية .

نزل محمد بن عبد الوهاب بالدرعية عام 1158هـ في بيت رجل فاضل يسمى «محمد بن سويلم العريني» ، فآواه وأكرم وفادته ، ولكنه كتم أمره ، خوفا من بطش الأمير «محمد بن سعود» مؤسس الدولة السعودية الأول ورجاله ، ظنا منه أن الأمير يأبى تعريض بلاده لانقسام ديني وفتنة تعكر صفو الأمن فيها ، وأخذ الشيخ يبث دعوته سرا ، ثم لم يلبث أن جهر بها حين استطاع أعوان الشيخ – ومن أهمهم أخوا الأمير : مشاري وثنيان ، وزوجة الأمير موخي بنت أبي رطبان – أن يقنعوا الأمير بمناصرته وتأييده ، فأقبل عليه وبايعه على دين الله ورسوله والجهاد في سبيله ، وتنفيذ أحكام الشريعة الغراء ، ومن ثم تظاهر وتضافر الدين والسياسة ، ودخلت الحركة في طور جديد ، اشتد فيه ساعد ابن عبد الوهاب وتابعه أهل الدرعية ، وكانوا له أنصارا وأعوانا . وبدأ الشيخ يراسل ذوي الرأي في البلاد النجدية من قضاة وعلماء وأعيان ، فاستجاب بعضهم ، وصد عنه كثير منهم ، ورموه بالجهالة والمروق وغير ذلك من النقائص ، وأنذروا به ، وبدأوا يعدون العدة للفتك به وتمزيق حركته ، ولم يكن بد حينذاك من الجهاد وامتشاق الحسام ، فاندلعت الحرب في بلاد نجد ، واتخذت أدوارا عدة واستشهد فيها كثير من بينهم أبناء الأمير محمد ابن سعود : فيصل وسعود ، ثم توالت الحروب والغزوات ، وتألب الأعداء من كل

جانب إلى أن توفي الأمير ، وتولى ابنه من بعده ، وانتصر على كثير من خصومه ، واستولى على الرياض والقصيم والخرج ونعجان ، وغيرها من البلاد النجدية .

على أن هذه الحروب لم تظل في دائرتها الداخلية الضيقة ، فقد هجم العراقيون وأهل الحجاز على بلاد نجد بتحريض من الأتراك العثمانيين . وكل يدعي الحفاظ على الدين والغيرة على تعاليمه ، فتبلبلت أفكار المسلمين في سائر البلاد ، وقذفت السياسة في هذا الصراع بسيل من الدعاية المغرضة ، وخيل للناس أن ابن عبد الوهاب متنبئ جديد ، يحاول القضاء على الإسلام والتخلص منه ، واستطاعت بذلك أن تؤلب المسلمين عليه في كل مكان ، وتوفي الشيخ رحمه الله في إبان هذه المعارك سنة 1206 هـ 1792 م وله من العمر اثنان وتسعون عاما ، ولما يشهد نهاية هذا الكفاح الخالد ، لكنه رأى مبادئه الإصلاحية ودعوته الإسلامية السلفية تشق طريقها وتسود في جزيرة العرب ، بفضل تأييد آل سعود ، الذين أصبحوا خلفاءه في نشر دعوته إلى يومنا هذا ، والذين بنوا ملكهم على أساس هذه الدعوة السلفية الخالدة . والحقيقة التي تكمن وراء الصراع بين الحق والباطل أن الأتراك الذين اتخذوا من الدين تجارة ، ومن الخلافة الزائفة وسيلة للسيطرة على البلاد الإسلامية قد فزعوا لقيام زعامة دينية ، وقوة وطنية في بلاد نجد قد يكون من ورائها ظهور وعي جديد يزيل الغشاوة عن العيون ويبعث المسلمين إلى انتفاضة قوية تزلزل أركان الحكم التركي الغاشم للشعوب المغلوبة على أمرها ، وينمي بذور الحرية في الأوطان العربية ، ويحيي النزعة الاستقلالية في نفوس أبنائها ، فتنهار تلك الدولة ، ويقضى على نفوذها وسيطرتها ، ومن ثم أخذوا يحشدون القوى ، ويرسلون ولاتهم وعملاءهم لمحاربة النجديين ، والقضاء على حركتهم، ومن ذلك: الحرب التي شنها محمد على والي مصر على هذه البلاد ، وإذا كانت هذه الحروب قد نالت من النجديين وأثقلت كواهلهم حينا من الدهر، فإنها كانت الصقال الذي شحذ عزائمهم، وحرك هممهم ، وأثار حماستهم للدفاع عن عقيدتهم ، وعن حوزة بلادهم

ونصرة مبادئهم ، وكان لهم الغلبة في آخر المطاف . والسر في نجاح النجديين في حركتهم هذه يرجع إلى قوة الإيمان التي بثها محمد بن عبد الوهاب فيهم، والصمود في سبيل الدعوة ، والاستبسال في الجهاد ، وتعبئة قوى الشعب ، وتعليمه فنون الحرب إلى جانب تعاليم الشريعة ؛ فلقد كان بمنزل الشيخ مدرسة تسمى : وكر التوحيد ، تلقن فيها علوم الدين طرفي النهار ، وفنون الحرب في أوسطه .

قضى الشيخ طوال حياته واعظا مرشدا ، مبينا لأحكام الدين ، حاضا أتباعه ، والعزوف عما ينافي التوحيد من ضلال وبدع وشرك، ومحرضا على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، وقد حفظ بعض أحفاده كثيرا من خطبه ، ولقد كان في خطبه يميل إلى مخاطبة قومه باللغة التي يفهمونها ، وكان همه منصرفا إلى المعاني لا إلى العبارات والتأنق في الأساليب ، ولو فعل لأضاع كثيرا من جهده سدى ، فما كانت البيئة النجدية في زمنه تتقبل غير الطريق الذي سار عليه .

ولئن لقيت الدعوة في ابتداء أمرها بعض مقاومة من أعدائها وخصومها الذين تجمعوا لقتالها ، وائتمروا بها ، وفي مقدمتهم الترك ، ومحمد على باشا ، وبعض شيوخ الجمود الذين حاولوا صدها عن سبيلها ، ومنع الناس من الدخول فيها بما نشروه من أضاليل وأذاعوه من أباطيل ، فإن المنصفين من علماء الشرق والغرب قد أنصفوا الدعوة وصاحبها ، ووفوها حقها من التعظيم والتبجيل ، بعد أن درسوها حق دراستها ، وغاصوا إلى أعماقها ، وأحاطوا بما أنتجته من نتائج عظيمة ، وما أثمرته من ثمار طيبة للإسلام والعرب ؛ ولم يكتف بعضهم بجمل عابرة ، بل حبر في وصفها الفصول الطوال ، ويمكن القول دون تردد أن تقدير الناس لها وإعجابهم بسمو مقاصدها يزداد كلما ازدادوا دراسة لها ، وإحاطة بسيرة مؤسسها باعتبارها أعظم حركة إصلاح ديني واجتماعي ظهرت في الشرق العربي في العصر الحديث ، وهناك ناحية أخرى نرى أن نسجلها في هذه المناسبة وهي: أن معظم العلماء الغربيين المستشرقين الذين كتبوا كثيرا عنها أسهبوا وأطالوا في وصف نتائجها ، لا فرق في

ذلك بين العلماء الإنكليز أو الألمان أو الأمريكان من الباحثين في شئون الشرق والإسلام إلا أنهم اتفقوا في وصفها بأنها حركة البعث الإسلامي ، وطلعة هذه النهضة الكبرى التي تنير آفاق الشرق العربي والإسلامي ، ولما كان كل ما كتبوه ودونوه عن الدعوة وعظمتها يحتاج إلى مجلدات ، فقد اكتفيت بإثبات قسم منه للدلالة على الكل ، وقد بدأت بتسجيل أقوال علماء الشرق الإسلامي أتبعته بأقوال علماء الغرب عملا بالقول المأثور : «ما لا يدرك كله لا يترك كله» .

ويرصد «الأستاذ الرويشد» بعض الآراء قائلا : وهناك أصوات منصفة من مصر المسلمة تؤيد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتقدمها رأي الشيخ الإمام محمد عبده .

فيقول الشيخ «حافظ وهبه» في كتابه (خمسون عاما في جزيرة العرب) وهو يتحدث عن طلبة العلم في الأزهر : إنه سمع الشيخ الإمام محمد عبده مفتى مصر يثنى في دروسه بالأزهر على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ويلقبه بالمصلح العربي ، ويلقى تبعة وقف دعوته الإصلاحية على الأتراك ، وعلى محمد على الألباني لجهلهم ومسايرتهم لعلماء عصره ممن ساروا على سن من سبقهم من مؤيدي البدع والخرافات ومجافاة حقائق الإسلام .

كذلك رأى تلميذ الشيخ الإمام ومؤرخه السيد «محمد رشيد رضا» مسجلا ذلك فيما كتب حيث قال في التعريف بكتاب «صيانة الإنسان» بعد أن أنكر نشر البدع، بسبب ضعف العلم والعمل بالكتاب والسنة ، ونصر الحكام لأهلها ، وتأييدهم العميق لها، قال رحمه الله ما نصه: «الشيخ محمد بن عبد الوهاب- النجدي- من هؤلاء العدول المجددين ، قام يدعو إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين - ﷺ - ، وترك البدع والمعاصى ، وإقامة شعائر الإسلام ، وتعظيم حرماته المنتهكة . فنهضت لمناهضته واضطهاده القوى الثلاث : قوة الدولة والحكام ، وقوة أنصارها من علماء النفاق ، وقوة عوام الطغاة ، وكان أقوى سلاحهم في الرد عليه أنه خالف جمهور المسلمين» .

ورأى الدكتور طه حسين : قال : إن الباحث عن الحياة العقلية والأدبية في جزيرة العرب لا يستطيع أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثاني عشر ، فلفتت إليها العالم الحديث في الشرق والغرب ، واضطرته أن يهتم بأمرها ، وأحدثت فيها آثارا خطيرة هان شأنها بعض الشيء ، ولكنها عادت فاشتدت في هذه الأيام ، وأخذت تؤثر لا في الجزيرة وحدها ، بل في علاقاتها بالأمم الأوروبية ، هذه الحركة التي أحدثها محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد ... ثم ذكر نزرا يسيرا عن نشأة الشيخ ورحلاته العلمية ودعوته إلى أن قال : قلت : إن هذه الدعوة الجديدة قديمة معنى ، والواقع أنها جديدة بالنسبة إلى المعاصرين ، ولكنها قديمة في حقيقة الأمر ؛ لأنها ليست إلا الدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من شوائب الشرك والوثنية ، نعم هي الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي محمد - ﷺ - خالصا لله ، ملغيا كل واسط بين الله وبين الناس ، هي إحياء للإسلام العربي ، وتطهير له مما أصابه من نتائج الجهل ، ومن نتائج الاختلاط بغير العرب ، فقد أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا إليه من جاهلية في العقيدة والسيرة ، إلى أن قال : ولولا أن الترك وبعض الجهلاء اجتمعوا على حرب هذه الدعوة وحاربوها في دارها بقوى وأسلحة لا عهد لأهل البادية بها ، لكان من المرجو جدا أن توحد هذه الدعوة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري، كما وحد ظهور الإسلام كلمتهم في القرن الأول الهجري على يد رسول الله - ﷺ - .

كذلك تناول الأستاذ «عباس محمود العقاد» في كتابه (الإسلام في القرن العشرين) حركة الإصلاح ، وقال ما نصه : وظاهر من سيرة محمد بن عبد الوهاب أنه لقي في دعوته عنتا ، فاشتد كما يشتد من يدعو غير سميع ، ومن العنت إطباق الناس على الجهل والتوسل بما لا يضر ولا ينفع ، والتماس المصالح بغير أسبابها ،

وإتيان المسالك من غير أبوابها ، وقد أغبر على البادية زمن كانوا يتكلمون فيه على التعاويذ والتمائم وأضاليل المشعوذين والمنجمين ، ويدعون توسلا بأباطيل السحرة والدجالين في الاستسقاء ودفع الوباء ، فكان حقا على الدعاة أن يصرفوهم عن هذه الجهالة ، وكان من أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنها صرفتهم عن البدع والخرافات والأباطيل والشعوذة ، وقال أيضا - وهو يتكلم عن كتاب التوحيد تأليف الإمام - ما يلي : إن الكتاب الذي تضمن دعوة الشيخ ، وفيه يحصي الشيخ الذنوب التي تكفر صاحبها وتعتبر شركا بالله ، وأكثرها من البدع والخرافات والمغالاة بتعظيم الأحبار والأولياء، ومن الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه ، ومن الشرك: اتخاذ الرقى والتمائم للوقاية ، والتبرك بالشجر والحجر والذبح لغير الله ، والنذر لغير الله ، والاستعانة بغير الله ، والعبادة عند القبور ، وأن الغلو في عبادة الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله ، وأن الكهانة والعيافة والتطير والتنجيم من الشيطان ، وأورد الشيخ الآيات والأحاديث التي تحرم الاستسقاء بالأنواء ، وأنكر على الصوفية تأويلاتهم وخوارقهم ، وكان الشيخ ينكر الغلو ، ويستشهد بقول الرسول - ﷺ - «**إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**» . وقوله عليه الصلاة والسلام : « **ألا هلك المتنطعون** »[1].

وكذلك كانت هناك أصوات من الشام تؤيد هذه الدعوة والداعية وتباركها ، حيث انتهت المشيخة العليا في بلاد الشام في أوائل هذا القرن إلى الشيوخ الأجلاء : الشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ عبد الرازق البيطار ، والشيخ طاهر الجزائري، والشيخ محمد كامل القصاب، الذين درسوا حركة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأعجبوا بها وقدروها قدرها ، ورأوا أنها على حق وصواب ، فنشروها في المجتمع الشامي ، وبذروا بذورها ، فأثمرت أطيب الثمار ، وأنتجت أبرك النتائج ، والمتفق

(1) مسلم : علم 7 .

عليه بين الباحثين في تاريخ الحركة التجديدية التي سبقت بها سورية الأقطار العربية أنها نفحة من نفحات دعوة ابن عبد الوهاب الوطنية ، وثمرة من ثمارها : عنها انبثقت ومن رياضها نفذت، وحاكمت الحركة التركية زعيم الحركة وعميدها الشيخ جمال الدين القاسمي وأحالته إلى القضاء بتهمة العمل على نشر دعوة ابن عبد الوهاب وذلك عام 1324هـ 1908م فبرأه القضاء ، وألف بعض علماء الشام الكتب في تأييدها ، وعملوا على نشرها وإذاعتها بشتى الوسائل التي كانت معروفة في القرن الماضي مما ساعد في نمو النهضة الجديدة ونجاحها .

وإلى جانب هذه الآراء العربية .. كانت هناك آراء أجنبية تلقي الضوء على الحركة الوهابية وصاحبها محمد بن عبد الوهاب ؛ مما جعل لهذا المجدد صدى في الداخل والخارج على الرغم من أن هناك الذين أبدوا ملاحظات عليها .

* * *

الزبيـــدي

الزبيدي صاحب (تاج العروس) واسمه «محمد مرتضى الزبيدي» ، الذي ينتهى نسبه إلى الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، يعتبر من مجددي الإسلام في القرن الثاني عشر الهجري ، ولد بالهند ، ونشأ وتربى وشب حتى العشرين من عمره في مدينة زبيد التى إليها ينتسب ، هذه المدينة التى كانت من أهم وأكبر مدن تهامة باليمن حيث كان يوجد فيها أهم مراكز العلم والتجارة . ليغادرها إلى القاهرة التى بقى فيها حتى وفاته عام 1205هـ ؛ حيث كتب بها كل مؤلفاته وفي مقدمتها : (تاج العروس) .

هذا المجدد كان واحدا من خمسة أخذوا على عاتقهم مهمة بعث اليقظة الإسلامية في العصر الحديث وهم : عبد القادر البغدادي صاحب (موسوعة خزانة الأدب) ، والجبرتي الكبير والد المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي ، ومحمد بن عبد الوهاب بالجزيرة العربية ، والشوكاني ، وخامسهم الزبيدي الذي كان من نصيبه بعث التراث اللغوي ، والدينى ، وعلوم العربية والإسلام ، والذي حرص على إحياء ما كان خافيا على الناس في مؤلفاته ، أو في لقاءاته ومجالسه مع معاصريه .

كانت الرغبة الصادقة المخلصة لهؤلاء الخمسة أن يدخلوا الأمة الإسلامية في عصر النهضة بعد طوال سبات وغفلة عن إرث أسلافهم من العرب والمسلمين العظام . خاصة في الفترة ما بين منتصفى القرنين الهجريين : الحادي عشر والثاني عشر، ويقابلهما في التاريخ الميلادي الفترة ما بين أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن التاسع عشر ؛ حيث قام كل واحد منهم بنصيب ، فدوت أسماؤهم في أرجاء العالم الإسلامي مؤذنة بيقظة جديدة ، قوامها: إحياء علم الأمة ولغتها وثقافتها ،

واستعادة سيطرة الأمة على أسباب حضارتها الإسلامية القديمة ، والإرادة في بعثها بعثا جديدا دون شعور أو إدراك أو علم مستبين بالذي كان يجري خارج الأمة الإسلامية من يقظة ونهضة أوروبية ، تتكئ اتكاء شديدا على ما كان في الإسلام من العلم المسطور في بطون الكتب ، أو على العلم الحي في صدور العلماء ، والذي كان رجال الاستشراق والتبشير يتلقفونه من أحاديث هؤلاء العلماء المسلمين «ولقد نجم عن ذلك يقظتان متقابلتان ، إحداهما عربية إسلامية ، والأخرى أوروبية مسيحية ، كان الفرق بينهما أن اليقظة العربية الإسلامية التى كان هؤلاء الخمسة يعملون من أجلها كانت يقظة هادئة سليمة الطوية ، منبعثة من داخل الأمة الإسلامية ، وليس لها هدف إلا استعادة شباب هذه الأمة ونضرتها في حدود الإسلام .. بينما كانت اليقظة الأوروبية المسيحية متفجرة بحقد قديم ومكظوم ، مصدره في عقدتهم المتجسدة في انتصار المسلمين عليهم في الحرب الصليبية إلى جانب فتح القسطنطينية والاستيلاء على الأندلس فكانت هذه اليقظة الأوروبية شيمتها السطو والسرقة ، وهدفها الغدر والعدوان ، وأسلوبها الحيلة والمكر ، لإعداد العدة لاختراق دار الإسلام ، بالدهاء والخداع .. وهكذا كما ترى- عزيزي القارئ- هما يقظتان كانتا في زمن واحد : إحداهما طبيعتها الرفق والنبل ، والأخرى طبيعتها الغدر والعدوان.

ومن هنا .. كانت قيمة وأهمية الزبيدي كواحد من هؤلاء الخمسة الذين تحملوا عبء هذه اليقظة الوليدة التي لو كانت قد استمرت دون تدخل من اليقظة الأخرى فيما عرف بالاستعمار لكان لها شأن آخر ، ولكانت قد أنقذت الأقطار العربية والإسلامية من استعمار واحتلال بقي جاثما على الصدور عشرات السنين . أقول هنا: تبرز قيمة وأهمية هذا المجدد ومسئوليته مع رفاقه الخمسة عن قيام هذه اليقظة الإسلامية الوليدة وجهده حين قام بتأليف مائة كتاب وسبعة كتب غير مجلدات (تاج العروس) ، وبالنظر إلى نوعيات هذه الكتب نجد منها المعاجم اللغوية

والرسائل الأدبية والشروح على التحقيقات والحكم والعقائد ، وكلها تدور حول اللغة العربية وآدابها ، إلى جانب الثقافة الإسلامية .

هل نحن في حاجة إلى مزيد عن هذا المجدد ، والكتاب الذي عرف به في التاريخ الثقافي للإسلام وهو (تاج العروس من جواهر القاموس) ربما نتبين شيئا من ذلك في واحدة من المقالات التي كتبتها بالأهرام منذ فترة تحت عنوان: «تاج العروس والاهتمام بتراث الأجداد» كصدى لما أحدثه هذا الكتاب الضخم من أثر في نفس واحد من أحفاده المعاصرين- كاتب هذه الصفحات - وهذا هو نص المقال:

« رحلة ممتعة طولها أيام وليال قضيتها مع ما يقرب من الثلاثين مجلدا من القطع الكبير تحمل عنوانا واحدا هو «تاج العروس من جواهر القاموس» لكاتبه محمد مرتضى الحسيني الزبيدي اليمني ، في طبعته الثالثة التي ينهض المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت بنشره وإصداره بعد أن قام بتحقيقه والتعليق عليه من لفيف من صفوة علماء اللغة والأدب ، وتحقيق التراث بمصر في مقدمتهم الأساتذة والدكاترة : «عبد الستار أحمد فراج ، وعبد الكريم العزباوي ، وعبد العليم الطحاوي، ومصطفى حجازي ، وحسين نصار ، وعبد السلام هارون، وعبد العزيز مطر ، وإبراهيم الترزي ، وعبد الفتاح الحلو ، ومحمود الطناحي » ... وغيرهم ممن ضبطوا صفحاته وراجعوها ؛ لتكون على النحو الذي هي عليه الآن .

والحق .. أعترف الآن بفضل من نبهني إلى قيمة هذا الكتاب وهو الصديق الدكتور «سليمان العسكري» رئيس تحرير مجلة العربي الكويتية ، حيث كان حديثه عنه هو أشبه بحديث من طب لمن حب أمرا جعلني كدت أن أغامر - وما أكثر المغامرات غير المحسوبة في شراء الكتب - فأهم بشرائه من معرض الكتاب الدولي بالكويت. غير عابئ بما ينتج عن ذلك من نتائج غير طيبة أولها ما أتكبده من مال قيمة لسعره ، وثانيها ما تقرره الجمارك من رسوم حيث يتضاعف وزنه ، عما هو مسموح به لي في السفر ، فضلا عن احتمال اعتقاد أحدهم بعد اكتشاف عبقري بأن

الزبيدي رحمه الله واحد من الممنوعين من دخول مصر ، وأنه يجب التحصن ضد ثقافته .. وتعقلت وتريثت وانتظرت حتى تأتي فرصة أخرى .

وكان معرض القاهرة الدولي للكتاب ، وكانت الفرصة حيث شدني «تاج العروس» شدا لم أستطع مقاومته ، وناغمت مادته الجميلة الغزيرة كل ما لدي من حواس ومشاعر ، فلم أجد مناصا ولا معدلا من اقتناء هذا السفر الضخم مهما كان ترددي الناتج عن المفاضلة بينه وبين عشرات الكتب الأخرى التي يمكن اقتناؤها بما يعادل خمس قيمته .

وأحوز «تاج العروس» وكأني أحوز ثروة هائلة ، وهل هناك ثروة أعز وأكرم بالنسبة لي من حيازة كتاب يتضمن ثقافة جادة وذخيرة من المعارف ؟! هل هناك أفضل من الاهتمام بهذا التراث الضخم الذي آل إلينا من أجدادنا صانعي الثقافة العربية الإسلامية؟! وهل هناك ما يمكن أن أقف أمامه وقفة الإكبار والإجلال رافعا رأسي في اعتزاز وكبرياء أفضل من هذا المجد الحضاري الذي لا يبلى للأجداد ؟!

وأخلو إلى «تاج العروس» وتخلو مجلداته وصفحاته إلي ، وأنصرف عما حولي ولا أشعر إلا بما يشبه هاتفا يقول : سحقا لهؤلاء الذين ينبذون تراث أجدادهم ، سحقا للذين يريدون هدم هذا الصرح العظيم بتهاونهم فيه ، سحقا للذين يبددونه يمينا ويسارا ليلتقطه غيرنا ويستفيد منه من الأجانب ، سحقا لمن هو أسوأ خلفا لأعظم سلف !!

وها هو تاج العروس وما يتضمنه من مادة غزيرة ، لأصدق شاهد وأكبر دليل على ما أجمع عليه المختصون في دراسة اللغات من أن لغتنا العربية تتمتع بعدة مقومات تؤهلها للبقاء والاستمرار في أداء مهمتها ، فهي تمتاز بالغزارة والغنى ، بالقوة والشموخ ، بالصلابة والمرونة ، بالثبات والتغير ، بالتطور والتقدم ، بمواجهة صروف الدهر وأعداء الحياة ، هي باختصار : تتمتع دون غيرها من لغات الدنيا بحيوية دائمة رغم تاريخها الطويل .

أقول : أخلو إلى تاج العروس ، وتخلو مادته إلي ، وأول ما تمتد إليه حواسي هي هذه التقدمة الضافية في المجلد الأول ، تلك التي كتبها المحقق الكبير الأستاذ «عبد الستار أحمد فراج» والتي يصدرها بقوله : إن تاج العروس الذي تنشره دولة الكويت من أعظم كتب التراث العربي ، وأهمها شأنا وأبقاها أثرا محمودا ، وإن صاحبه الزبيدي قد أخلص فيه كل الإخلاص ، واجتهد كل الاجتهاد ، وأحسن غاية الإحسان.

وأعلق على قول هذا المحقق الكبير ، بعد الوقوف على مادة هذا الكتاب : لقد أجملت فأحسنت ؛ فما أجده بين يدي الآن يعد بحق : ذخيرة ثقافية يناسبها هذا القول وأكثر منه . ولا عجب .. فما أوردته هذه التقدمة أو ما سجله الزبيدي نفسه في فاتحة كتابه من رصد للمراجع والمصادر العربية والإسلامية التى رجع إليها والتى تعد بالمئات وتشغل صفحات طوالا ، مما يؤكد بصورة أو بأخرى ثراء لغتنا العربية وجدية وإخلاص أبنائها .

والسؤال الآن : ما الذي دعا الزبيدي إلى تأليف هذا الكتاب الذي يتضمن هذا العدد الكبير من المجلدات ، وينفق في تأليفه وكتابته أكثر من أربعة عشر عاما أو يزيد ؛ ليسلم مسوداته بعد ذلك إلى تلاميذه ؛ حتى يقوموا بمراجعتها وتبييضها على نحو ظهر عليه في القرن الثاني عشر الهجري ، ثم ليقوم أحفاده من مصر والكويت بتحقيقه ونشره منذ أكثر من قرنين ؟

إن لذلك قصة خلاصتها : أنه عندما انتهى مطاف الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط ، إلى زبيد باليمن ليعيش فيها ، وبموت صاحبه في القرن التاسع الهجري زاد الاهتمام بقاموسه ، وكثر ناقلوه وذاع صيت صاحبه الفيروزآبادي ، كما كثر قراؤه ، ومع كل ذلك زادت الحاجة إلى شرح مادة هذا القاموس حتى جاء الزبيدي أحد أبناء زبيد باليمن في القرن الثاني عشر ، وكان وقتها لم يتجاوز العشرين من العمر فبدأت فكرة شرح قاموس الفيروزآبادي تلح عليه وتشغله حتى إذا جاء

إلى مصر عام 1167هـ ليستغرق في تأليفه سبع سنوات ، ولتتوالى بعد ذلك أجزاؤه التي أتمها في أكثر من سبع سنوات أخرى لينتهي تماما من وضع كتاب (تاج العروس من جواهر القاموس) عام 1188هـ وهكذا بدأ الزبيدي وانتهى من تأليف كتابه بمصر ، ويوم أن تم له ذلك أقام احتفالا كبيرا دعا إليه كبار علماء مصر وشيوخها كما يسجل تلميذه «عبد الرحمن الجبرتي» في تاريخه لأستاذه .

والحق .. أن هذه الطبعة الثالثة التي بين أيدينا الآن من تاج العروس قد تطلبت الكثير من الجهد والعناء من محققيها ؛ بسبب البحث العلمي الدقيق للتعرف بما للزبيدي في شرحه وما للفيروزآبادي في قاموسه ، ففي النسخة الأصلية التي كانت بخط الزبيدي كان يضع فوق كلمات القاموس خطا يميزها عما يقوم به هو من شرح، معتمدا على أمهات المصادر العربية والإسلامية ، ولما بدأ تلاميذه تبييض ما كتبه أستاذهم الزبيدي بخطه ، جعلوا كلمات القاموس باللون الأحمر ، وشرح الزبيدي باللون الأسود ، وحين طبع تاج العروس رأى طابعوه أن تكون كلمات صاحب القاموس بين قوسين وشرح الزبيدي مطلقا بغير أقواس ، وهنا كانت الصعوبة التي واجهها المحققون لتاج العروس في طبعته الثالثة ، في حين أنه حين طبع الطبعة الثانية زالت بعض هذه الأقواس التي تفصل بين كلام القاموس وشرحه ، واختلط هذا بذلك في كثير من الصفحات . وأصبح من الصعب معرفة ما للفيروزآبادي وما للزبيدي ، وهذا يتطلب جهدا في الفحص ، يضاف إليه مراجعة المصادر التي رجع إليها كل من الفيروزآبادي والزبيدي .

وهذه السطور لا تزعم لنفسها بأنها أعطت مجلدات تاج العروس حقها من النقد والتقييم ، وكيف يمكن تحقيق ذلك لمادة غطت أكثر من الخمسة عشر ألف صفحة من القطع الكبير ؟! .. وحسبنا أيضا أن ننوه بقيمة تحقيق مثل هذه الأعمال الجادة في ثقافتنا العربية .

* * *

ختـــام

وبعد .. ففي هذه اللحظات التي أطوي فيها صفحات الجزء الثاني من هذه الموسوعة ، والذي يمتد زمنيا لستة قرون هجرية ، تبدأ من القرن السادس الهجري حتى القرن الثاني عشر ، متضمنا عددا كبيرا من الأئمة والمفكرين والعلماء والفقهاء يمثلون كل جوانب الفكر والعلم والفقه والأدب واللغة .. أقول في الوقت الذي أطوي فيه صفحات هذا الجزء الثاني ، وأضع اللمسات النهائية ، وأجمع مجلدات وكتب ودوريات ومجلدات وقصاصات ، والتي إليها يرجع الفضل كله في إتمام هذا الجزء الثاني ، بل وما سبقه في الجزء الأول .. أحس أنني أودع أئمة وشيوخا وأساتذة لي ولملايين المسلمين غيري ، أسهموا بدم القلب ووهج الفكر ، وصلابة الفولاذ .. في تقديم الإجابات التي ترد على تساؤلات المسلم ، تلك التي تنشأ مع تطور الحياة وتغيرها في زمانهم .

ومع أنني أدرك الآن أنني أودعهم ، إلا أنني لا أشك لحظة في أنني قد اقتربت من فكرهم ، وعشت معهم ولهم أياما وليالي ، بل شهورا وسنوات ، فاستفدت منهم، وكم كانت صحبتهم عظيمة ومباركة ، ضاعفت من تعلقي بهم وحبي لهم . لذلك .. أجد نفسي- أحيانا- أناجيهم واحدا واحدا ، وكأني أراهم وأسمعهم ، فأدير معهم حوارا تطل منه الكثير من القضايا ، التي تشغل فكرنا الإسلامي في حياتنا المعاصرة ، كما شغلت الأجداد في الحياة الماضية .

وهذه الصفحات التي بين يدي القارئ الآن ، والتي أنفقت من أجلها الأيام والليالي .. الشهور والسنوات ، أرجو أن تكون عملا صالحا يفيد الإنسان المسلم .

وإذا ما شاب هذا العمل بعض القصور ، الناشئ من بعض الغفلة أو النسيان، فأرجو أن أتبين ذلك فيما بعد ، حتى يتم استدراكه ، وحتى يخرج العمل الخاص بأعلام التجديد في الإسلام بالصورة اللائقة التي نتمناها جميعا .. ذلك ؛ لأنني أعتبر هذا الجزء الثاني من هذه الموسوعة ، وقبله : الجزء الأول مناسبة للحوار بين القارئ وصاحب هذه السطور . آملا في الوصول إلى الصيغة المناسبة أو النغمة الصحيحة التي نودها ونرجوها لموضوع التجديد في الإسلام .. على اعتبار أن هذا الموضوع في أساسه ومعناه ، هو أرقى وأسمى حركات التفكير الإسلامية .

سامح كريم

القاهرة الجديدة – أكتوبر 2008

المراجـــع

- القرآن الكريم
- الأحاديث النبوية
- الإصابة في تمييز الصحابة — لابن حجر
- السيرة النبوية — لابن هشام
- تحفة الأحباب وبغية الطلاب — للسخاوي
- بدائع الزهور في وقائع الدهور — لابن إياس
- المالك والمسالك — لابن حوقل
- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة — لابن تغري بردي
- تاريخ الرسل والملوك — لابن جرير الطبري
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة — لابن حجر
- الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة — لابن الزيات
- الطبقات — لابن سعد
- فتوح مصر وأخبارها — لابن عبد الحكم
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب — لابن العماد
- العقد الفريد — لابن عبد البر
- تاريخ المسلمين — لابن العميد
- عيون الأخبار — لابن قتيبة
- البداية والنهاية — لابن كثير
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار — لابن فضل الله العمري

- الأغاني للأصفهاني
- السنن الكبرى للبيهقي
- إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقريزي
- الخطط والآثار للمقريزي
- السلوك لمعرفة دول الملوك للشعراني
- الطبقات الكبرى للشعراني
- الطبقات الصغرى للشعراني
- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي
- مروج الذهب للمسعودي
- مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع لياقوت الحموي
- البلدان لليعقوبي
- رسائل بين الإمامين: مالك والليث بن سعد لأحمد كمال أبو المجد
- أبو الحسن الأشعري دراسة للشيخ محمد أبو زهرة
- تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي
- حسن المحاضرة لجلال الدين السيوطي
- الشفاء لابن سينا
- القانون لابن سينا
- الكتاب الذهبي .. إعداد جامعة الدول العربية عام 1952 عن ابن سينا
- المنقذ من الضلال لحجة الإسلام : أبو حامد الغزالي
- تهافت الفلاسفة لحجة الإسلام : أبو حامد الغزالي
- تهافت التهافت لابن رشد

- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال	لابن رشد
- طوق الحمامة	لابن حزم
- نزهة المشتاق	للشريف الإدريسي
- الموسوعة الجغرافية	للشريف الإدريسي
- روض الأنس ونزهة النفس	للشريف الإدريسي
- الفتوحات المكية	لمحيي الدين بن عربي
- نصوص الحكم	لمحيي الدين بن عربي
- المقدمة	لعبد الرحمن بن خلدون
- العبر وديوان المبتدأ والخبر	لعبد الرحمن بن خلدون
- صبح الأعشى	للقلقشندي
- الإنصاف في بيان أسباب الخلاف	للدهلري
- الرسائل	للدهلري
- شرح أبواب صحيح البخاري	للدهلري
- التفهمات الإلهية	للدهلري
- القول الجميل في بيان سواء السبيل	للدهلري
- السيل الجرار على حدائق الأزهار	للشوكاني
- القول المفيد في حكم التقليد	للشوكاني
- المسند	أحمد بن حنبل
- المأمون : عالم من العلماء وأديب مع الأدباء	لجمال الدين سرور
- الفهرست	لابن النديم
- ابن سينا فيلسوف لا ينسى	لجور وانو
- مؤلفات ابن تيمية	

- مشكاة الأنوار	لحجة الإسلام : أبو حامد الغزالي
- الكشف في مناهج الأدلة في عقائد الملة	لابن رشد
- الفصل في الملل والأهواء والنحل	لابن حزم
- الأخلاق والسير في مداواة النفوس	لابن حزم
- مناجاة	لمحيي الدين بن عربي
- المدينة الفاضلة	لأبي نصر الفارابي
- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن	للقرطبي
- وفيات الأعيان	لابن خلكان
- الآثار الباقية عن القرون الخالية	للبيروني
- الهند	للبيروني
- الصيادلة	للبيروني
- لسان العرب	لابن منظور
- نهاية الأرب	للوطواط
- الموطأ	للإمام مالك
- الأم	للإمام الشافعي
- إسلاميات الدكتور محمد حسين هيكل	لسامح كريم
- شرح موطأ مالك	للشيباني
- رحلات ابن بطوطة	تحقيق الدكتور عبد الهادي الغازي
- الموافقات	للشاطبي الغرناطي
- الاعتصام	للشاطبي الغرناطي
- إسلاميات طه حسين	لسامح كريم
- إسلاميات العقاد	لسامح كريم

- إسلاميات أحمد أمين	لسامح كريم
- محمد الرسول البشر	لتوفيق الحكيم
- المجددون في الإسلام	لعبد المتعال الصعيدي
- فلاسفة الإسلام	للدكتور . سعد عبد العزيز
- المؤلفات الإسلامية	لعبد الرحمن الشرقاوي
- محمد رسول الله والذين معه	لعبد الحميد جودة السحار
- حوار لا مواجهة	للدكتور . أحمد كمال أبو المجد
- فلاسفة العرب	للدكتور . محمد لطفي جمعة
- قادة الفكر الإسلامي	للدكتور . راشد البراوي
- الفلسفة الإسلامية	للدكتور . عبد الرحمن بدوي
- الفلسفة المسيحية	للدكتور . عبد الرحمن بدوي
- دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي	للدكتور . عبد الرحمن بدوي
- إسلاميات توفيق الحكيم	إعداد الدكتور عبد الرحمن بدوي لسامح كريم
- الكافية في النحو	لابن الحاجب
- الإمام عبد الحليم محمود	لمحمد شلبي
- ثلاثة حكماء مسلمين	للدكتور . سيد حسين نصر
- مفكرو الإسلام	لكارادوفو
- أعلام الإسكندرية	للدكتور . جمال الدين الشيال
- السحار والفكر الإسلامي	لمأمون غريب
- جمال الدين الأفغاني	لعبد الرحمن الرافعي
- عبقري الإصلاح والتعليم : محمد عبده	لعباس محمود العقاد

- أم القرى	لعبد الرحمن الكواكبي
- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد	لعبد الرحمن الكواكبي
- الأعمال الكاملة للكواكبي	تحقيق د. محمد عمارة
- الرحالة ك	لعباس محمود العقاد
- الإسلام والحضارة العربية	لمحمد كرد علي
- الإسلام وأصول الحكم	لعلي عبد الرازق
- أيام لها تاريخ	لأحمد بهاء الدين
- الإسلام والخلافة في العصر الحديث	للدكتور . محمد ضياء الدين الريس
- من هنا نبدأ	لخالد محمد خالد
- رجال حول الرسول	لخالد محمد خالد
- أفكار في القمة	لخالد محمد خالد
- حديث رمضان	للإمام مصطفى المراغي
- محاضرات في الفلسفة الإسلامية	للشيخ مصطفى عبد الرازق
- الفكر الإسلامي	للدكتور إبراهيم بيومي مدكور
- الفلسفة الإسلامية	للدكتور إبراهيم بيومي مدكور
- الإسلام في شبه القارة الهندية	للدكتور عبد المنعم النمر
- مالك بن أنس	لأمين الخولي
- المجددون في الإسلام (فى أربعة قرون)	لأمين الخولي
- تقديم كتاب : ذو القرنين لأبي الكلام آزاد	لأحمد حسن الباقوري
- أبو الكلام آزاد	للدكتور . عبد المنعم النمر
- كتابات العبادي التاريخية	للدكتور جمال الدين الشيال
- ابن بطوطة	للدكتور . محمد مصطفى زيادة

- معاني القرآن بين الرواية والدراية — لأحمد حسن الباقوري
- قطوف من أدب النبوة — لأحمد حسن الباقوري
- من أعلام العصر كيف عرفت هؤلاء ؟ — للدكتور . محمد رجب البيومي
- مواقف الغزالي من قضية تخلف المسلمين — للباحث إبراهيم طلبة حسين
- الخصائص الفنية لمقالات الشيخ الغزالي — للباحث خالد كمال
- الشيخ الغزالي : شاهد على العصر — للباحث الدكتور محمد مورو
- من هنا نعلم — للشيخ محمد الغزالي
- أعمال ومواقف الغزالي — دراسة للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي
- أجزاء معجزة القرآن — للشيخ محمد متولي الشعراوي
- مصريون معاصرون — للدكتور محمد الجوادي
- الشعراوي مفكرا — لمحمود مهدي
- عمر بن عبد العزيز — دراسة للدكتور وليد قمحاوي
- الخطط التوفيقية — لعلي مبارك
- أدب مصر الفاطمية — للدكتور . محمد كامل حسين
- الطرق الصوفية في مصر — للدكتور . عامر النجار
- الحركة الصوفية في الإسلام — للدكتور . محمد علي أبو ريان
- الأعلام — للزركلي
- عظماء الإسلام — لحسن النشار
- محمد عبده — للدكتور . عثمان أمين
- الفلسفة الأخلاقية في القرآن — للدكتور . محمد عبد الله دراز
- المدخل إلى القرآن الكريم .. عرض تحليلي مقارن — للدكتور . محمد عبد الله دراز
- مؤلفات أبي الأعلى المودودي

- مؤلفات أبي الحسن الندوي
- مؤلفات وحيد الدين خان
- تاج العروس للزبيدي
- تجريد العقائد لنصير الدين الطوسي
- الشامل في الطب لابن النفيس
- رسالة في الأعضاء للدكتور يوسف زيدان
- الحكمة لابن عطاء الله السكندري
- الأبناء العظام لرأفت الخياط
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البنداري
- اتباع الأسماع بما للرسول من الأبناء والحفدة والأتباع للمقريزي
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي
- مؤلفات عبد الحميد جودة السحار الإسلامية
- التيار الإسلامي في قصص السحار للدكتور صفوت يوسف زيد
- أحمد بن حنبل دراسة للشيخ محمد أبو زهرة
- الإبانة لأبي الحسن الأشعري
- اللمع لأبي الحسن الأشعري
- مصطفى عبد الرازق دراسة للدكتور عثمان أمين
- مساجد مصر للدكتورة. سعاد ماهر
- حول التجديد في الفكر الإسلامي مقال بالمصور للدكتور عبد المعطي بيومي
- دائرة المعارف الإسلامية المترجمة

- الموسوعة العربية الميسرة
- الشريف الإدريسي — دراسة لمحمد عبد الله عنان
- مقالات التجديد في الإسلام من عام 1987 حتى عام 2006 — لسامح كريم
- دائرة معارف القرن العشرين — لمحمد فريد وجدي
- مناهج تجديد — لأمين الخولي
- مع النبي في رمضان
- قمم وأفكار إسلامية — لسامح كريم
- أعلام في التاريخ الإسلامي في مصر — لسامح كريم
- أعداد من مجلة العربي الكويتية
- أعداد من مجلة تراث الإنسانية
- مفكرون وأدباء من خلال آثارهم — لأنور الجندي
- الشيخ المراغي بأقلام الكتاب — إعداد أبو الوفا المراغي
- فجر الإسلام — لأحمد أمين
- قادة الفكر الإسلامي — لعبد الله بن سعد الرويشيد
- شخصيات صوفية من صعيد مصر في العصر الإسلامي
- الإسلام في القرن العشرين — لعباس محمود العقاد
- البغية — للسيوطي
- معجم البلدان — لياقوت الحموي
- نثار الأزهار — لابن منظور
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري — لابن الأثير

- الكامل	للمبرد
- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام للذهبي	تحقيق لمحمد محمود حمدان
- الكبائر للذهبي	تحقيق لمحمد محمود حمدان
- عصر محمد علي	لعبد الرحمن الرافعي
- مخطوط للدكتوراه عن محب الدين الخطيب	لمحمود فوزي محمود
- بحث عن محب الدين الخطيب	للدكتورة سهيلة البرماوي
- الطهطاوي قبل قاسم أمين في الكتابة عن تحرير المرأة	بحث للدكتور محمد محمود الدش
- الأوزاعي إمام أهل الشام	بحث للدكتور زهدي يكن
- ابن طفيل	بحث لمحمد عبد الله عنان
- الإمام مسلم	بحث للشيخ محمد أبو زهرة
- الطبري	بحث لمحمد خليفة القوسي
- القزويني	بحث للدكتور عبد الحليم منتصر
- الماتريدي	بحث للدكتور فتح الله خليف
- توجيهات الشيخ شلتوت	للإمام محمود شلتوت
- مذكرات القرضاوي	لبدر محمد بدر

* * *